— 1 —

يقول ابن جني إن (تذكير المؤنث واسع جداً لأنه رد إلى الأصل)[3]. وكأنه بذلك يتقابل مع مقولة الجاحظ عن أولئك الذين يبخسون النساء أكثر حقوقهن. ومن ذلك حق التأنيث الذي يُردّ إلى التذكير بدعوى أن ذلك هو الأصل.

هل هذا من أفعال الظلمة المستبدين الذين يطربون لسماع صوت الهمس النسائي وهن يصفن الذكور بهاتين الصفتين ـ كما تقول مي زيادة ـ ....؟

إن حدوث فعل الاستلاب وبخس الحقوق يعني بالضرورة أن هناك حقوقاً وأنها معطى طبيعي وليست مكتسبة، ولذا صارت قابلة للبخس والاستلاب. وإن التأنيث في اللغة لهو حق طبيعي وصفة جوهرية، ويجري استلاب أنوثة اللغة بتذكيرها وردها إلى أصل مفترض.

وتظهر المرأة وكأنما هي (كائن طبيعي) مطلق الدلالة، وتام الوجود، من حيث الأصل، ولكنها تحولت بفعل الحضارة والتاريخ إلى (كائن ثقافي) جرى استلابها وبخس حقوقها لتكون ذات دلالة محددة ونمطية. ليست جوهراً وليست ذاتاً وإنما هي مجموعة صفات.

وشواهد التاريخ وشهاداته تشير إلى حق أصلي أنثوي من جهة، وإلى استلاب مستمر وجماعي من جهة ثانية.

وتؤكد شهادات النساء أنفسهن على أن الديانات السماوية قد أكرمت المرأة، وأعطتها حقها غير أن الثقافة والتاريخ قد بخساها هذا الحق.

---

(3) ابن جني: الخصائص 2/415 ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب، بيروت 1975.